

أضواء البيان

@ 309 من العبد ، من يحيي المخلوق جملة ، لأنه يوقفه على عدة مراحل من حياته وإيجاده ، وكل طور منها آية مستقلة ، وهذا التوجيه موجود في الطواهر الكونية أيضاً من سماء وأرض ، فالسماء كانت دخاناً وكانت رتفا ففتقهما ، والأرض كانت على غير ما هي عليه الآن ، وبين الجميع في قوله : { أءَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا وَفَسَّوَاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ رَضَّ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا } وأجمع من ذلك كله في قوله تعالى في فصلت { قُلْ أءَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ رَضَّ فِي يَوْمٍ مَيِّنٍ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أُنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاطَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلْإِنْسَانِ لَيْلٌ أَوْ نَهَارٌ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَواتٍ فِي يَوْمٍ مَيِّنٍ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً } . ثم ختم تعالى هذا التفصيل الكامل بقوله : { ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } ، ففيه بيان أن تلك الأطوار في المخلوقات بتقدير معين ، وأنه بعلم ، ومن العزيز سبحانه ، فكان من الممكن خلقها دفعة واحدة ، إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . . ولكن العرض على هذا التفصيل أبعد أثراً في نفس السامع وأشد تأثيراً عليه . والعلم عند الله تعالى . .

7 ! 7 ! قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّامُ سَبْعَ سَمَواتٍ طِبَاقاً وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجاً وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ رَضَّ نَبَاتاً ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً } . في هذه الآية مع ما قبلها ثلاثة براهين من براهين البعث الأربعة التي كثر مجيئها في القرآن . .

الأولى : خلق الإنسان { قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ } . .
والثانية : خلق السماوات والأرض : { لَخَلَقُ السَّمَواتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ } .

